(٥)

نهاية المطاف

(تراث وآثار)

- ضجعة القبر
- في منطقة الظل
- انحسار الظلام

ضجعة القبر

هذا جناه أبي عليَّ وما جنيت على أحَدْ

أبو العلاء

(وصيته ، على قبره)

••••

صمد للتجربة الصعبة الباسلة ، حتى آخر العمر .

على قسوة ما كابد من أشواق بشريته المقهورة ، وما لقي من افتراء خصومه وعنَت مجادليه .

ولقد طال به العمرُ وناءَ بأثقال الشيخوخة :

سقطت أسنانه . وانحنى ظهره ، ووهَنَ جسده وتخاذلت أعضاؤه ، فما عاد يستطيع النهوض إلا بمعونة سواه ، وعجز عن القيام للصلاة ، فإنما يصليها قاعدا ...

ونصغي إليه ، دليل رحلة ، إذ يقول في الخامسة والثمانين من

عمره ، من رسالة إلى داعي الدعاة :

« قُضِيَ عليَّ وأنا ابن أربع ، لا أُفرق بين البازل والربع . وتوالت مِحَني فأشبه شخصي العودَ المنحني . ومُنِيت في آخر عمري بالإقعاد ، وعداني عن النهضة عاد . ...

« ولو مثل – شخصي – بحضرتِه السامية ، لَعَلِمَ أنه لم يبق فيه بقيةٌ لأن يُسأل ولا أن يجيب لأن أعضاءه متخاذلة ، وقد عجز عن القيام للصلاة فإنما يُصلي قاعدا ، واللهُ المستعان ...

« وإني لأعجز إذا اضطجعت عن القعود ، فربما استعنت بإنسان ، فإذا هم بإعانتي وبسط يديه لنهضتي ، ضربتْ عظامي لأنهن عارياتٌ عن كسوة كانت عليهن ... » .

وكذلك ضعف سمعُه إلى جانب ما كان من عجزه عن البصر وعن القيام والقعود . فيقول من قصيدته في القاضي عبد الله ، ابن أخيه أبي المجد محمد :

حَمَدتُكَ في الحيـاةِ أتـمَّ حمدٍ
وأيـامي ذممـتُ أتـم ذمَ

أجدَّك مـا تركت وأنت قـاضٍ
تعهُّـدَ مُقعـدٍ أعمـى أصـم

والقصيدة قيلت بعد أن جاوز أبو العلاء الثمانين من عمره ، بشاهد من قوله : « وأنتَ قاضٍ » وقد كانت ولاية أبي محمد عبد الله ، ابن أبي المجد ، لقضاء المعرة ، سنة ٤٤٣ هـ ، كما نص على ذلك

« ابن العديم » مؤرخ حلب ، وآل سليمان .

****

وبقي له على وهن الشيخوخة وتخاذل الأعضاء ، صفاءُ ذهنه وتوقدُ قَريحته وقوةُ حافظته وضبطه ، وطاقته على الدرس والإملاء . فظل تلاميذه يقرأون عليه ويكتبون له ويأخذون عنه إلى قبيل وفاته .

بعد الثمانين من عمره ، كان « الخطيب التبريزي » يقرأ عليه كتاب (غريب الحديث لأبي عبيد) وعنه حَكَى وصنف (تهذيب غريب الحديث) فيما روى « ابن العديم » وجادةً ، بخطِّ التبريزي :

« قال الخطيب التبريزي : وكنت قرأتُ هذا الكتابَ سنة خمس وأربعين وأربعمائة ، على أبي العلاءِ أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري . قال : « قرأ علينا سنة خمسٍ وثمانين وثلاثمائة كتابَ غريب الحديث ، القاضي أبو عمرو عثمان بن عبد الله الكرجي . وذكر أنه سمعه من أبي عمير عدي بن عبد الباقي ، وسمعه عمير من علي بن عبد العزيز صاحب أبي عبيد » مصنف غريب الحديث .

هكذا حفظ المتن وضَبَط الإسناد ، منذ قرئ عليه (غريب الحديث) قبل ستين عاما ، من قراءة تلميذه الخطيب عليه الكتاب سنة خمس وأربعين وأربعمائة .

وفي الخامسة والثمانين من عمره ، أملى إجازته لأحد طلابه ، في رواية الجزء الثاني من مصنفه (ذكرى حبيب) ونص الإجازة :

« قال أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي ، من أهل معرة النعمان :

قَرَأَ عليَّ هذا الجزء ، وهو الجزء الثاني من الكتاب المعروف بـ (ذكرى حبيب) الشيخُ الفاضل أبو الحسن يحيى بن محمد الرازي أدام اللهُ عِزه ، من أول الجزء إلى آخره . ووقع الاجتهاد مني في تصحيح النسخة . وكان ابتداؤه بقراءته ، لِسبعٍ بقين من شعبان سنة ست وأربعين وأربعمائة ، وفرغ من قراءته لثلاثٍ بقين من شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين وأربعمائة . وأجزت له أن يرويه عني على حسَبِ ما قرأه .

« ويشهد الله أني معتذر إلى هذا القارىء – أبي الحسن الرازي – من تقصيري فيما هو عليَّ مفترض من حقوقه . والاعترافُ بالمَعْجَزةِ يمنع من اللائمة المنجزة –

« وكتب الإجازةَ جابرُ بن زيد بن عبد الواحد بن عبد الله بن سليمان ، بإذن أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري ، في المحرم سنة ثمانٍ وأربعين وأربعمائة »[1] .

* * * *

وكذلك بقيت له قوةُ إرادته وصلابة زهده وبسالة مجاهدته :

كان يملي رسائله إلى داعي الدعاة ، وهو رازح تحت عبء الشيخوخة الواهنة . وقد احتمل ما ألح به عليه الداعي من عنف الجدل ومكر الخصومة ، وصمد لوطأة مناورته وشطط محاورته ، دون أن يتزحزح عن موقفه في الامتناع عن أكل اللحم ، والقناعة بما لديه من رزق ضئيل .

ومرض فلم يقبل أن يذوق لحم فروج وصفه له الطبيبُ علاجا .

(١) الإجازه بنصها ، من (إنباه الرواة) للقفطي .

ولبث منذ بلغ الثلاثين من عمره ، صائم الدهر « فلم يفطر في السنة ولا الشهر إلا العيدين ، وصبر على توالي الجديدين » نصف قرنٍ طويل ثم كان لذلك الليل الطويل آخر :

اعتل رهين المحبسين في أوائل شهر ربيع الأول من سنة ٤٤٩ هـ . وعاده الطبيب المشهور « ابن بطلان : أبو الحسن المختار » وكان ممن يتردد عليه للزيارة والسماع ، أثناء مقامه بديار الشام .

والراجح أن «ابن بطلان» هو الذي « وصف له كأساً من شراب أتاه به ابن أخيه : القاضي الأجل أبو محمد عبد الله ، فامتنع من شربه . فحلف القاضي أيمانا مؤكدة ، ليشرب ذلك القدح ، فاعتذر وهو ينشد :

أعبدَ اللهِ ، خيرٌ من حياتي وطولِ ذمائها ، موتٌ مريحُ
تعللني لتسقيني فذرني لعلي أستريح وتستريح » [1]

وأحاط به خاصة أهله الأقربين ، من بني إخوته وبني عمه . ومرَّ عليه يومٌ وثانٍ والعلةُ لا تفارقه ، فلما كان اليوم الثالث عرفوا أنها علة الموت .

كان قد سألهم أن يكتبوا عنه ، فتناولوا الدويَّ والأقلام وأرهفوا أسماعهم لما يقول ، فأملى عليهم غيرَ الصواب ، فنظر بعضهم إلى بعض وكأنهم يتساءلون عما به ، فما عهدوا عليه اختلالا في المنطق أو سهوا فيما يملي .

عندئذ ألقى ابن أخيه « القاضي أبو محمد » القلمَ من يده ، وأمسك دمعه وهو يهمس لمن حوله من الأهل في حسرة وكمد : « أحسَنَ اللهُ عزاءَكم

(١) القفطي : إنباه الرواة / ترجمة أبي العلاء .

في الشيخ ، فإنه ميت » ...

ومات في غداةِ غدِه :

تاركا وصيته ، أن يكتبوا على قبره :

هذا جناه أبي عليّ وما جنيت على أحَدْ .

ومسجلا بها في لحظة النهاية . مأساة حياته وموقفه منها ...

. . . .

وشيعوه إلى مثواه الأخير ، فأضجعوه في لحده .

وعلى قبره وقف أربعة وثمانون شاعرا يرثونه ، [1] وهو مغيب تحت الثرى لا يسمع صوت محزونٍ عليه ولا يجيب نداء مفجوع فيه ، ولا يملك أن يرد هذا الجمع الحاشد إلى شيء من التجلد والعزاء .

كان قريبا منهم أدنى القرب ، بعيدا أقصى البعد ، وتلميذه أبو الحسن علي بن همام يناديه معاتبا :

إن كنتَ لم ترق الدماء زهادة
فلقد أرقتَ اليومَ من جفني دَمَا

. . . .

****

وأبو الرضى عبدالواحد بن الفرج المعري ، يندبه في حسرة والتياع :

سُمُر الرماح وبيضُ الهند تَشتور
في أخذ ثأرِكَ والأقدار تعتذر

---

(١) ياقوت : إرشاد الأريب / أبو العلاء .

والدهر فاقد أهل العلم قاطبة
كأنهم بك في ذا القبر قد قُبِروا
فهل ترى بكَ دار العلم عالمة
أنْ قد تزعزع منها الركنُ والحجرُ
العلمُ بعدك غمد فات منصله
والفهم بعدك قوس ما لها وتَر

. . . . . .

****

والأمير أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة المعري يبكيه ويبكي العلم والنهى والعفة والتقى والمكارم :

العلمُ بعد أبي العلاء مُضيَّع
والأرض خالية الجوانب بلقعُ
ما كنت أعلم وهو يودَع في الثرى
أن الثرى فيه الكواكبُ تودَع
جبلٌ ظننت ، وقد تزعزع ركنُه
أن الجبال الراسيات تزعزع
وعجبتُ أن تَسَعَ المعرةُ قبره
ويضيق بطنُ الأرضِ عنه الأوسعُ
لو فاضت المهجات يوم وفاته
ما استُكثرت فيه فكيف الأدمع

تتصرم الدنيا ويأتي بعده
أمم ، وأنت بمثله لا تسمع
رفض الحياة ومات قبل مماته
متطوعا بأبرّ ما يُتطوع
عين تَسَهَّدُ للعفاف وللتقى
أبدا ، وقلب للمهيمنْ يخشع
جادت ثراك أبا العلاء غمامة
كندَى يديك ، ومزنة لا تقلع
ما ضيع الباكي عليك دموعه
إن الدموع على سواك تضيع
قصدتك طلابُ العلوم ولا أرى
للعلم بابا بعد بابك يقرع
مات النهى وتعطلت أسبابه
وقضى التأدبُ والمكارمُ أجمع

. . . . . .

ولمدى سبعة أيام ، أقام مقرئو المعرة على قبره ، يتلون القرآن حتى أتموا مائة ختمة .

ثم انفض المأتم ،

واستراح المتعب ونام بعد طول أرق وسهاد .

ورجعُ الصدى يردد في وحشة المقابر :

لعمركَ ما آسى إذا مـا تحملـت
عن الجسم روحٌ كان يُدعَى لها رَبْعا
وما أسأَل الأَحياءَ بعدي زيـارة
ثلاثا لإيناس الدفيـن ولا سَبْعا

في منطقة الظل

لا تظلموا الموتى وإن طال المدى
إني أخاف عليكمُ أن تلتقوا
أبو العلاء
(لزوم ما لا يلزم)

****

• رفض الحياةَ ومات قبل مماته • كما قال رائيه ...

لكنه فرض نفسه على الحياة كما لم يفرضها أديب عربي سواه فيما أعرف ، وخاض معركته من وراء قبره ، ضد ضلال المقاييس واختلال القيم .

ومضى « مقطوع النسل مجتَثَّ الفرع » كما قال عن نفسه .

لكنه ترك تراثه ، فعاش به كما لم يعش ذوو الكثرة والعدد من البنين والحفدة ...

منذ حُلَّت عنه تمائم صِباه ، انطلق في شبابه يشدو بأشعاره ومواجده ويودِعها أحلامه ورؤاه ... ثم لما اعتزل الدنيا رهين محبسيه ، أمضى نصف قرن – وما أطوله – عاكفا على العبادة والتأمل والدرس والتصنيف والإملاء ، ومن حوله الحشد الكثير من كُتابه وتلاميذه ، يقرأون عليه ويدونون له ، دواوينه ورسائله وأماليه ومصنفاته ، لم يفلتوا منها ، على المدى الطويل ، شيئا ذا بال . فما رحل عن الأرض إلا وهذا الحصاد السخيُّ لعمره الطويل الباذل ، مدون موثق ، قد أودَعه أسرار ذاته ونبض وجدانه وخفقات قلبه ، وأمانة ضميره وعقله ورسالة كلمته ...

ميراثاً للأجيال الخالفة من أُمته ، لعلها تجد فيه حداء مسرى ودعاء وعي ويقظة ...

ولم ينج تراثه من عوادي الزمن ومطاردة المحن وظلم الاضطهاد وبغي الافتراء ..

بعد قرن وبعض قرن من رحيله ، لم يجد « القفطي » من ذلك التراث الجمِّ السخي إلا « خمسة وخمسين مصنفا ، العددُ بتقريب ، سوى ما لم يذكره : أربعة آلاف ومائة وعشرون كراسة » .

وقال في (الإنباه) :

« وأكثر كتب أبي العلاء هذه قد عدمت ، وإنما يوجد منها ما خرج عن المعرة قبل هجم الكفار عليها وقتل أهلِها ونهبِ ما وُجد لهم . فأما الكتب الكبار التي لم تخرج عن المعرة فعدمت . وإن وُجِدَ منها شيءٌ فإنما يوجد البعضُ من كل كتاب ... » .

وبدا « ياقوت الحموي » أسعد حظا . كان كُتبيا ، شهد إعصار

التتار يدمر معالم الحضارة الإسلامية في المشرق ويلقي بخزائن مكتبتها العربية وقودا للنار أو النهر . وقد دأب ياقوت على استقصاء ما أفلت من التدمير . فبلغت عدة ما عرف من تراث أبي العلاء بإملائه : اثنين وسبعين مصنفا ، ذكرها بأسمائها في معجم أدبائه ، مع تعريف موجز ببعضها .

وبلغت فيما أحصى « ابن العديم » – ونعرف من شأنه ألا يذكر إلا ما رآه أو تحقق من وجوده – سبعة وستين مصنفا . أثبتها في (الإنصاف والتحري) مع مزيد توثيق لها وتعريف بها .

والثلاثة من أعلام القرنين السادس والسابع للهجرة ، لم يفصلهم عن أبي العلاء أكثر من قرنين . وقد نقلنا آنفا كلمة « القفطي » في أن أكثر كتب أبي العلاء قد عدمت ، لم ينج منها إلا ما خرج من المعرة قبل اجتياح الكفار لها . وصرح « ابن العديم » بأنه لا يعلم مقدار عشرين كتابا لأبي العلاء ، منها : (عظات السُّوَر ، سجع المضطرين ، إسعاف الصديق ، قاضي الحق ، تفسير أمثلة سيبويه وغريبها ، شرح خطبة أدب الكاتب ، فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ...)

كما صرح بأنه لم يقف على كتاب (خطبة الفصيح) ووقف على جزء واحد من كتاب (الأيْك والغصون) ومقداره ألف ومائتا كراسة !

ونفهم من حديث « ابن العديم » في (الإنصاف والتحري) عن (الأيك والغصون) أنه لم يكن قد ضاع ، على قلة وجوده لكِبَره ، بل كان بعضه موقوفا في « خزانة كتب النظامية ببغداد » كما كانت

هناك نسخة منه كاملة في « خزائن المصريين » .

ولا نعلم مصير هذه النسخة المصرية ، بعد أن تتبع « ابن العديم » أثرها من القرن السادس ، حيث « صارت إلى القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني – ت سنة ٥٩٦ هـ . – وانتقلت بعده إلى ولده القاضي الأشرف – ت سنة ٦٤٣ هـ – ثم صارت في جملة كتبه إلى خزانة الملك الصالح أيوب ... وأظنها في ستين مجلدا »[1]

وكذلك تاه في غيابة الزمن ، أكثر هذه الكتب التي ذكرها ياقوت ، وأثبتها القفطي ، ووقف عليها ابن العديم . وتُرك الباقي مدفونا في خزائن الكتب لمدى قرون ، لم يهتم أحد بنشره ، ولا عُني به الشراح والدارسون ممن عاشوا في الأقطار العربية على ذلك المدى الطويل ...

شغلهم عنه الكلام في عقيدة أبي العلاء ، وترديد أقوال للسالفين فيها ، ظلت تتناقل عبر الأجيال ، وكأنها وحدها ما ينبغي أن يُحفظ ويُتلى ويذاع ، وكأنْ لا تعلُّقَ بأبي العلاء إلا من حيث معتقده !

واختلفوا فيه كما اختلف مَن قبلهم :

منهم من أمسكوا عن الجزم باتهامه ، تحرجا . أو أشكل عليهم أمره لكثرة ما قال في تمجيد الله تعالى وما ألف من مصنفات في المواعظ ، وما شاع وذاع من ورعه وتقواه وزهده . فاكتفوا بنقلِ أقوال من جَرَّحوه ، ومعها أقوال من شهدوا له بصدق الإيمان وقوة اليقين . ثم عقبوا على هذه وتلك ، بالكلمة الجليلة المأثورة : « واللهُ أعلمُ » .

وقذفه بعضهم بالزندقة والإلحاد وسقم الدين ، وقرنوه في قرن

---

(١) الإنصاف والتحري : ٥٢٨/ تعريف .

واحد ، مع اثنين من أشهر الزنادقة في الإسلام ، والله أعلم ! : أبي حيان التوحيدي ، وابن الراوندي [1] . وتقربوا إلى الله بلعنته ، وحكموا عليه بالخسران في الدنيا والآخرة ـ اللهُ أعلم .

يتوارثون ذلك خلفا عن سلف، ويتناقلونه تقليدا جيلاً في إثر جيل..

حتى رؤيا منام لمجهول من الناس ، ساقوها وثيقة اتهامٍ وقرارَ حكمٍ على أبي العلاء بسوء المصير ! وتتابع الإخباريون منهم يوردونها ناقلين ، في الكلام « عما تذاكر به متهموه من إلحاده » :

ففي القرن السادس للهجرة ، نقل «ابن الجوزي» عن ابن الصابي ، قال :

« ولما مات المعري رأى بعض الناس في منامه كأن أفعَيين على عاتقي رجلٍ ضرير ، قد تدليا إلى صدره ثم رفعا رأسيهما فهما ينهشان من لحمه وهو يستغيث . فقال ـ النائم ـ : من هذا ؟ فقيل : المعري الملحد ! »

وحكاها من بعد « ابن الجوزي » سبعة ممن ترجموا لأبي العلاء أو تناولوا مسألة اعتقاده ، من القفطي في القرن السابع ، إلى أبي الفتح العباسي في القرن العاشر !

لم يذكروا قط أن مثل هذه الأحلام ، تفسير لرأي « بعض الناس » في عقيدة أبي العلاء ، وتعبير عما رسخ في نفوسهم من شائعات ذائعات ، دون أن تتجاوز ذلك إلى حيث تقدم في القضية دليلَ اتهام بالإلحاد ، ومنطوقَ حكمٍ بما لا يعلمه إلا الله وحده من غيب الآخرة !

****

(١) كذا نقل « ابن الجوزي » في كتابيه (المنتظم ، وتلبيس إبليس) عن أبي الوفاء بن عقيل . ومثله في (مرآة الزمان) لسبط ابن الجوزي .

وظلموه ميتا كما ظلموه حيا .

تقولوا عليه بشعرٍ لم يرد في ديوانيه ، وقد تم تدوينهما في حياته ، وكتبهما من إملائه مباشرة ، كُتَّابٌ له أُمناءُ ثقات : (سقط الزند) ديوان شعره الأول ، قرىء عليه ببغداد . و (لزوم ما لا يلزم) تمَّ توثيقه في حياته ، بشاهدٍ من قوله في (رسالة الضبعين) .

« وفي حلب حماها الله نسخ من هذا الكتاب ، بخطوط قوم ثقات يعرفون ببني أبي هاشم ، أحرار نسكة ، أيديهم بحبل الورع متمسكة ، جرت عادتهم أن ينسخوا ما أُمليه » .

وسدّاً لذرائع التزوير وسوء التأويل ، أملى : (ضوء السقط) شرحا لديوان سقط الزند و (الراحلة اللزوم ، وراحة ، وزجر النابح ، ونجر الزجر) شرحا لديوان اللزوميات وبيانا لما أُسيء فهمه من شعره أو أُسيء تأويله .

لكن هذا لم يمنع خصومه وحاسديه من وضع أشعار مريبة على لسانه ، ولم يحل بعد وفاته دون تناقل الإخباريين والنقاد أبيات شعر مزورة عليه ، يوردونها في أدلة الاتهام ، وليست هذه الأبيات في المرويِّ من شعره !

يصدق هذا على كثير مما أورده « ياقوت » في معجمه تجريحا لأبي العلاء ، وما جاء به « القفطي » في (إنباه الرواة) « ليُعلَمَ ما يحكى عنه من إلحاده » . [1]

---

(١) لم أر وجها لإيراد هذه الأبيات المزورة المنحولة ، اكتفاء هنا بالإشارة إلى من تعلقوا بها في كتب التراجم والطبقات .

كالأبيات النونية والرائية في الحشر ، والقافيَّة في الاعتراض على تقسيم الأرزاق ، والبائية في الطعن في الرسُلِ عليهم السلام .

ولا بيت منها ، في المحقق من نسخ (سقط الزند) و(لزوم ما لا يلزم) ...

وينقل « سبط ابن الجوزي » في (مرآة الزمان) و « الذهبي » في (تاريخ الإسلام) و « الصفدي » في (نكت الهيمان) من هذه الأشعار المنحولة ما ينقلون ، ويضيف إليها الزمن أشعارا أخرى لم يذكرها يقوت والقفطي في نصوص الاتهام ، كالأبيات الرائية :

عجبتُ لكسرى وأشياعِه وغسلِ الوجوه بماءِ البقَرْ

. . . . . .

جاء بها « أبو الفداء » في تاريخه (المختصر) شاهدا على فساد عقيدة أبي العلاء ...

وليست كذلك فيما رُوِي من شعره في المحقق من ديوانيه الكبيرين .

وأكثر هذا الذي نسبوه إليه ، مما لم يُروَ في ديوانيه ، لا يثبت على الفحص النقدي ، فضلاً عن جهالة سنده . ومنه ما هو منسوب إلى غيره في مراجع أخرى .

مثل البيتين المشهورين في الاعتراض على مُقْسِّم الأرزاق ، سبحانه :

إذا كان لا يَحظى برزقِكَ عاقــلٌ

وترزق مجنونــا وترزق أحمقــا

فلا ذنب يا رب السماء على امرئٍ

رأى منكَ ما لا يشتهى فتزندقا !

رواهما « ابن الجوزي » في (المنتظم) بين الأشعار المنسوبة إليه ، « الدالة على كفره » .

ونقلهما من بعده : القفطي وياقوت ، ثم سبط ابن الجوزي وابن كثير والعيني – وهؤلاء الثلاثة صرحوا بالنقل عن ابن الجوزي في المنتظم – ثم السبكي في (طبقات الشافعية) .

والبيتان مما لم يُروَ في ديوانه .

وهما منسوبان في (معاهد التنصيص ، للعباسي)[1] إلى « ابن الراوندي» ولعلهما به أشبه . وله في هذا المعنى بيتان آخران ذكرهما أبو العلاء – على مضض وسخط – في أشعار الزنادقة [2] :

قسَّمتَ بين الورى رزقهم   قسمة سكرانَ بيِّن الغلطِ

لو قسم الرزق هكذا رجلٌ   قُلنا له : قد جُنِنتَ فاستعطِ

وأملى أبو العلاء في (رسالة الغفران) ما نصه : [3]

« ولما أجلى عمرُ بن الخطاب أهلَ الذمة عن جزيرة العرب ، شقّ ذلك على الجالين . فيقال إن رجلا من يهود خيبر يعرف بسمير بن أدكن ، قال في ذلك :

يصولُ أبو حفص علينا بدِرَّةٍ
رويدَك إن المرء يطفو ويرسُبُ

كأنك لم تتبع حمولةَ ماقطٍ
لتشبع إن الزاد شيءٌ محبَّبُ

---

(١) ص ٧١ ط بولاق سنة ١٢٧٤ .

(٢) رسالة الغفران : ٤٩٥ ط الذخائر الخامسة .

(٣) رسالة الغفران : ٤٤٢ ط الذخائر الخامسة .

فلو كان موسى صادقا ما ظهرتمُ
علينا ، ولكنْ دولـةٌ ثم تذهب
ونحن سبقناكم إلى المَيْنِ فاعرفوا
لنا رُتبةَ البادي الذي هو أكذَبُ
مشيتم على آثارنا في طريقنـــا
وبُغيتكم في أن تسودوا وتكسبوا »

نقلها « ياقوت » في معجمه عن رسالة الغفران ، ثم عقب عليها بقوله : « وهذا يُشبه أن يكون شعرَه ، نَحله هذا اليهوديَّ . أو أن إيرادَه لمثل هذا ، واستلذاذَه بإنشادِ كفريات الزنادقة» .

ولم يقل « ياقوت » غفر الله له ، كلمة السلف الصالح المأثورة ... « والله أعلم » ،

وترك قالتَه تسير مع كتابه في ... من بعده ، فأضاف إليها أستاذنا « الدكتور طه حسين » أن أبا العلاء اشتدَّ في لعنة الزنادقة مداراة لمستورٍ من عقيدته « ليُعلنَ أنه مسلم » !

وجاء مصنفو (تعريف القدماء بأبي العلاء) فوضعوا أمام أبيات اليهودي ، في فهرس القوافي : اسمَ أبي العلاء ! وكأن ما شُبِّه لياقوت وساقه على سبيل الظن والشك ، قد صار ثابتا ويقينا ! [1]

وسياق خبر إجلاء يهود عن جزيرة العرب ، وأبيات شاعرهم من يهود خيبر ، لا ينم في (رسالة الغفران) عن استلذاذٍ من قريب أو بعيد ، وإنما هو رد أبي العلاء على ما في (رسالة ابن القارح) من أخبار الزندقة وأشعار الزناديق .

---

(١) أنظر فهرس القوافي من (تعريف القدماء) صفحة ٦٦٥ ط دار الكتب بالقاهرة .

ولا نعلم في أبي العلاء شبهة رياء يدعوه إلى لعن الزنادقة تقيةً ومداراةً « ليعلم أنه مسلم » بل الذي نعلمه يقينا أن الرجل باع الدنيا ورضي أن يتعرض لأقسى الأذى والإعنات والإحراج ، ولا يتخلى عن أمانة مبادئه أو يفرِّط في صدق كلمته !

****

وإذ ساق الحديث إلى (رسالة الغفران) نشير إلىٰ وضعها في قضية اتهام عقيدة أبي العلاء ، من حيث يقدمها متهموه وثيقة شاهدة على ما وصفوه بالتهكم على المعتقدات الإسلامية ، وحكمه على مصاير الشعراء في الآخرة ، بين الجنة والنار ، واستلذاذه بإنشاد كفريات الزنادقة ...

ورددت أقلام المُحدثين هذا الاتهام ، من قبل أن ينشر فينا نص الرسالة ويقرأ !

فإلى القرن الثاني عشر الهجري لم يكن المعروف عنها يتجاوز كلماتٍ قصارا ذكرها مصنفو الطبقات والمؤرخون في ترجمته . وقد اقتصر بعضهم على اسمها في ثبَتِ مصنفاته ، بين (رسائله الحسان الطوال التي تجري مجرى الكتب المصنفة) كالقفطي في (الإنباه) وسبط ابن الجوزي في (مرآة الزمان) .

وآخرون ـ كالصفدي في (الغيث المسجم) والكلاعي في (إحكام صنعة الكلام) ـ أشاروا إليها في سياق الاستدلال على « تمكن أبي العلاء من الأدب ، واطلاعه على اللغة » .

وذكرها « ياقوت » في معجمه شاهدا على « أمارات سوء عقيدته وقبح مذهبه » .

واقتصر « الذهبي » في (تاريخ الإسلام) على إشارة إلى « ما فيها من مزدكة واستخفاف » .

ثم في العصر الحديث ، مع اقتران ذكرها بالكوميديا الإلهية لدانتي ، أشار الدارسون الغربيون إلى ما يريبهم فيها من « مغفرة للشعراء الزنادقة ، في قصة جريئة خلط فيها الجد بالهزل ، وسخر من العقائد الإسلامية التي تتعلق بالحياة الآخرة »[1]

وردَّ المستشرق الإنجليزي «نيكلسون» سمعتها السيئة ، إلى « ما لا يستطاع إنكاره من أن أبا العلاء صوَّر جنة المؤمنين صالونا فخما عامرا ببوهيميين خالدين ، لكنهم غير خلقيين »[2] .

وتكلم آخرون منهم ، عما فيها « من تهكم خفي لاذع ، وصبغة ساخرة لا دينية »[3] .

على حين راب الدارسين العرب ، ما أورده فيها – بالقسم الثاني منها ، وفيه الرد على رسالة ابن القارح – من أخبار الملحدة وأشعار الزنادقة ، يأخذون فيها بقالة « ياقوت » في استلذاذ أبي العلاء بها ، لقبح مذهبه . أو برأي الأستاذ الدكتور طه حسين : « وكم ضحَّى من زنادقة العباسيين بضحايا ليعلن أنه مسلم ، ولكن هذا الكيد كله لم يزد الناس إلا علما به »[4] .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية : أبو العلاء / الترجمة العربية .

(٢) J.R.A.S. 1902/77.

(٣) M.A. Placios : Islam and the Divine Comedy ed. London 1929/55.

(٤) تجديد ذكرى أبي العلاء : ١٣٣ ط المعارف وآدم ميتز : الحضارة العربية /١١/٢ الترجمة العربية للدكتور أبو ريده .

كل هذا ، من قبل أن نقرأ رسالة الغفران في نص محقق !

وسبق لي في دراستي للغفران – بعد تحقيقي لنصها – أن ناقشت كل هاتيك الدعاوي المرسلة التي لا يؤيدها شاهد من النص المحقق : ليس في جنة أبي العلاء أي شاعر ملحد أو زنديق ، بل شعراء من الصحابة ، ومن الذين لم تلحق بهم أدنى شبهة من تجريح . والجاهليون منهم ، قد سوغ الغفرانَ لهم أن كان الشاعر نصرانيا أو متحنفا قبل المبعث ، أو روي له شعر في رجاء الله وخشيته .

باستثناء « الأعشى » الذي احتال أبو العلاء على إدخاله جنة الغفران ، بأن استشفع له بخروجه يريد لقاء النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنشاده مدحتَه الدالية ، فصدَّتْه قريش وحبُّه للخمر – وقد حرَّم عليه أبو العلاء لذاك ، خمرَ جنته – كما ذكر له قصيدة من شعره الجاهلي ، فيها إيمان بالله وتصديق بالبعث والحساب .

و « الحطيئة » الذي شفع له عن رقةِ دينه ، صدقُه في بيتٍ قاله – وما أجلَّ موضع صدق الكلمة عند أبي العلاء ! – ومع جلال الصدقِ عنده ، لم يضعه مع الصفوة من الشعراء المؤمنين ، بل نبذه في أطراف الجنة .

ولا يهون القول بأنه : « كم ضحى بالزنادقة » وكل شعراء جنته وجحيمه ، من الجاهلية وصدر الإسلام . وليس معهم من الأمويين غير « الأخطل » ومن العباسيين غير « بشار » وكلاهما في الدرك الأسفل من جحيم الغفران .

وما أورده من خبر الزنادقة وأشعار الملحدة ، لم يكن قط استلذاذا

بإنشاد كفرياتهم كما وهِمَ « ياقوت » ولا اشتد في لعنتهم مداراةً لمستور من عقيدته كما ذهب الأُستاذ الدكتور طه حسين ، بل كان يرد على ابن القارح في رسالته إليه [1]

وأُضيف إلى هذا كله ، ما انتبهت إليه في كتابي (جديد في رسالة الغفران) [2] من أن الخطأ الأكبر في كل ما قيل أو يقال في اتهام رسالة الغفرانبالجرأة والاستخفاف ، هو في أخذ العالم الآخر في الغفران ، على محمل تصوير الحياة الآخرة في عقيدتنا الإسلامية .

وما هو في الواقع إلا رؤيا فنية ، يُطل بها رهين المحبسين على جنته وجحيمه ، كما تمثلهما في تأملاته وأحلامه ، وصاغته أمانيه وأشواقه ومخاوفه وهواجسه ، ومواجده ومواجعه . مع ما كان يُحسه من ظل شخصية ابن القارح ، على وجدانه ، وما يتردد في مسمعه من كلام هذا الرجل في رسالته إليه .

ومع اتقاء هذا الخطإ الأكبر ، يمكن في سهولة ويسر أن نرد الشبهات الواردة على الغفران . فالذي حشده لابن القارح من لذات مادية ، ليس مظنة اتهام . ولو عرضنا أجرأ ما في جنة الغفران من مشاهد اللذة الحسية ، على أقوال المفسرين في تأويل آيات نعيم الجنة ، لبدا لنا أبو العلاء غير مسرف ولا جامح الخيال . وما يغلب عليها من حِسِّ السخرية ، ليس سخرية بالمعتقدات الدينية ، وإنما السخرية كلها بابن

---

(١) تفصيل هذا كله ، في فصل (مادة الغفران) من كتابي (الغفران : دراسة نقدية) ط المعارف بالقاهرة .

(٢) نشر دار الكتاب العربي – بيروت ، ١٩٧٢ .
وما هنا ، إشارة موجزة لما تناولته في الكتاب بتوسع وبيان .

القارح ، والتهكم كله عليه .

وشبهة الجرأة على تقرير مصير الشعراء في الغفران بين جنة وجحيم ، ينفيها أن أبا العلاء قد عقد الرحلة بابن القارح إلى عالمه الآخر ، ابتداءً بمشيئة الله . وصرّح في حديثه عن زندقة بشار ، بقصد المشيئة العليا ، قال : « والله العالم بحقيقة الأمر . ولا أحكم عليه بأنه من أهل النار ، وإنما ذكرتُ ما ذكرت ـ من لقائه في الغفران ـ لأنّي عقدتُه بمشيئة الله ، وإن الله لحليم وهاب »[1]

وإذا كان فينا من يجد حَرَجا في تصوير أبي العلاء لعالمه الآخر ، فلنذكر أن تراثنا حافل بمرويات عن أحلام ورؤى للحياة الآخرة ، ولم نسمع أن أحدا أنكر هذا الاقتحام لعالم الغيب ، والجرأة على لقاء ناسٍ في جنة النعيم أو في نار الله الموقدة .

والقياس مع الفارق :

أصحاب الرؤى يرسلون الحديث عنها دون احتراز ، وكأنها تتعلق بالحياة الآخرة على حقيقتها الدينية .

وأبو العلاء يعرض رؤياه لعالمه الآخر ، وقد عقد فيها الأمر كله بمشيئة الله ، وصرح بأنه على وجه التمني والتصور ، إذ يقول وهو يمضي بابن القارح إلى الجنة ، في أول مشهد :

« وكأني به ، إذا استحق تلك الرتبة بيقين التوبة ، وقد اصطفى له ندامى من أدباء الفردوس ... » .

---

(١) رسالة الغفران : ٣١ ط خامسة ، ذخائر .

وانظر معها تفصيل ذلك كله ، في (جديد في رسالة الغفران) ط. دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٧٢ .

كيف لم نتق الله والضمير العلمي ، في أحكام نقولها أو نرددها اتهاما لعقيدة أبي العلاء ، في (رسالة الغفران) من قبل أن تُقرأ ، أو يُعرف لها نص موثق ؟!

***

وكذلك كان الأمر في (الفصول والغايات) :

في الترجمات المبكرة لأبي العلاء ، ورد اسم هذا الكتاب ، في ثبت مصنفاته ، دون تعليق .

وتلت عصور ، قدّمته إلى ملف الوثائق لقضية اتهام عقيدته ، وصدر به منطوق الحكم ، دون إيراد أي لفظ أو فقرة من نصه ، شاهدا ودليلا !

في القرن السابع ، كتب « القفطي » في (إنباه الرواة) ، ما نصه :

« وتحدثت الألسن بإساءته ، لكتابه الذي زعموا أنه عارض به القرآن ، وعنونه : (الفصول والغايات) محاذاةً للسوَر والآيات » .

فلم تلبث عبارة : « محاذاةً للسور والآيات » التي ذكرها القفطي وصفاً للكتاب ، أن زحزحت عن موضِعها من الإتباع الوصفي ، واقترنت باسم الكتاب حتى صارت شطرَ عنوانه :

(الفصول والغايات في محاذاة السور والآيات)

على ما نقل « الذهبي » في (تاريخ الإسلام) .

وجاء « البديعي » في كتابه (الصبح المنبي) بفقرات من الفصول والغايات ، مصدرة بالكلمة الغليظة :

« ومما جاء في قرآن أبي العلاء » !!

ونسيت أو تاهت شهادة المؤرخ المحقق « ابن العديم » الذي عرف الفصول والغايات وقال في (الإنصاف والتحري) : « وهو الكتاب الذي افتُري عليه بسببه ، وقيل إنه عارض به السور والآيات . تعدِّياً عليه وظلما ، وإفكا به أقدموا عليه وإثما ، فإن الكتاب في تمجيد الله والعظات ، وليس من باب المعارضة في شيء » .

ثم نُشر الجزءُ الأول من (الفصول والغايات) وقرأناه في الجامعة ، دراسة ونقدا ، فإذا هو نجوى عابدٍ تقي ، وتسابيح مؤمن نقي ، وعِظات حكيم رائد لا يكذب أهلَه ، ومواجد صوفيٍّ هائم !

ولم ينج مع ذلك من أثر الافتراء ، ومطاردة الظلم !

سنة ١٩٤٤ ، بعد نحو ست سنين من نشره محققا ، وقراءتنا له في الجامعة درساً ، أخرجت مطبعة دار الكتب في القاهرة ـ وفيها نشِر الجزءُ المحقق منه ـ كتاب (تعريف القدماء بأبي العلاء) تحيةً من مصر في مهرجان ذكراه الألفية بحلب الشهباء .

وسامح الله مصنفيه :

أضافوا حرف « واو » بين اسم كتاب(الفصول والغايات)ووصفه ، فيما نقلوا من خبر القفطي عنه في (إنباه الرواة) فجاء نصه في التعريف:

« ... وعنَونه : الفصول والغايات ، ومحاذاة السور والآيات » .

فتغير السياق تماما ، بهذه الواو المزيدة دون أي إشارة إلى وجه العدول عن رواية الأصل في (الإنباه) :

« ... وعنونه (الفصول والغايات) محاذاة السور والآيات » .

****

وقد مرَّ بنا مثَلٌ من اعتساف « ياقوت » في تأويل ما جاء في (رسالة الغفران) من أبياتٍ ليهودي من خيبر ، وارتيابه في أن تكون من شعر أبي العلاء ، نَحلَها ذلك اليهودي :

وجاءت الأبيات في فهرس القوافي من هديتنا (تعريف القدماء) وأمامها اسم أبي العلاء !

ولم ينفرد « ياقوت » بمثل هذا الاعتساف في تأويل كلام أبي العلاء . بل لعله فيه كان أقلَّ شططا وأخفَّ وطأة ، من « جار الله الزمخشري» في تفسيره (الكشاف) وليس مجال نظر في عقيدة أبي العلاء ، ولا هو موضع لعنة التكفير ، والله أعلمُ بعباده .

في تفسير الزمخشري لآيتي المرسَلات :

« إنها ترمي بشرر كالقصر * كأنه جِمالاتٌ صُفْرٌ »

ذكر بيت أبي العلاء ، في (سقط الزند) :

حمراء ساطعة الذوائِب في الدجى

ترمي بكل شرارة كطراف .

ثم عقب عليه بما نصه :

« شبهها بالطراف ، وهو بيت الأدم ، في العِظَم والحمرة ، وكأنه قصد بخُبثِه أن يزيد على تشبيه القرآن ، ولِتبجُّحِه بما سوَّل له من توهم الزيادة ، جاء في صدر بيته بقوله : * حمراء * توطئة لها ومناداة للسامعين على مكانها . ولقد عَمِيَ ، جمَع اللهُ له عَمَى الدارين ، عن قوله عز وجل : « كأنه جمالات صفر » فإنه بمنزلة قوله : كبيتٍ أحمر ؛ وعن أن في التشبيه بالقَصْرِ ، وهو الحصن ، تشبيها له من جهتين :

من جهةِ العِظَمِ ومن جهةِ الطول في الهواء ؛ وفي التشبيه بالجِمالات ، وهي الجبال الضخمة ، تشبيه من ثلاث جهات : من جهة العِظم والطول والصُّفرة .

« فأبْعَدَ اللهُ إغرابَه في طِرافه ، وما نفخ به شدقيه من استطرافه ».[1]

فهل مثل ذاك التأْويل المعتسف المشتط لبيت أبي العلاء مما يمكن أن يخطر على بال قارىء منصف تحرر من سيطرة فكرةٍ سبقت إليه بالاتهام ؟!

****

على المدى الطويل ، كان في الأُفق رجعُ صدى من صوت أبي العلاء ، يأْتي من أعماق الظلام :

لا تظلموا الموتى وإن طال المـدى
إني أخاف عليكـمُ أن تلتقوا

فيهز الضمائر الحية لنفرٍ أتقياء من مؤرخيه ، ويدعوهم إلى مراجعة ما راج في الناس من أقاويل الزور وشائعات الافتراء ومقحمات التأْويل.

منهم « القفطي » الذي ألح عليه النداءُ في اليقظة والمنام ، فسجل في (إنباه الرواة) شهادة اعتراف :

«كنت في سن الصبا ،وذلك في حدود سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، أقدحُ في اعتقادِ أبي العلاء ، لما أراه من ظواهرِ شعرِه ، وما يُنشد له في

---

(١) تفسير الكشاف : سورة المرسلات .
قابل ما هنا ، على ما مر في « خصومة واتهام » من خشوع أبي العلاء بجلال القرآن الكريم ، وكلامه في باهر إعجازه .

محافل الطلب . فرأيت ليلةً في النوم كأنني قد حصلت في مسجدٍ كبير ، في شرقيه صُفَّةٌ كبيرة ، وفي الصفة سلٌّ حصيرٍ مفروشٍ من غير نسج ، وعليه رجل مكفوف متوسط البياض... وهو مستقبل القبلة في جلسته . وإلى جانبه طفلٌ ، وكأني فهمتُ أنه قائدُهَ . وكأني واقف أسفلَ الصفة ومعي ناس قليل ، ونحن ننظر إليه وهو يتكلم بكلام لم أفهم منه شيئا . ثم قال في أثناءِ كلامه ، مخاطبا لي : ما الذي يحملك على الوقيعة في ديني ؟ وما يدريك لعل الله غَفَر لي ؟

« فخجلتُ من قوله وسألت عنه مَن إلى جانبي ، فقال لي أحدهم : هذا أبو العلاء المعري ...

« فابتسمت متعجبا للرؤيا ، واستغفرت اللهَ لي وله ، ولم أعُد إلى الكلام في حقِّه إلا بخير » .

ومنهم « ابن العديم » الذي استقصى أخبارَه وآثاره ، حين كان عاكفا على جمع مادته لتأريخ أعلام حلب إلى عصره . فهاله ما لحق أبا العلاء من ظلم فادح ، وما شاع عنه من افتراء باطل شوَّه صورته بغير حق.

وأرَّقه التفكير فيما تفرضه أمانة الحق على مؤرخ مثله ، من تصحيح الزيف الشائع ودفع الوهم المسيطر ، حتى ندب نفسه للقضية الصعبة : تفرغ لاستيعاب مصنفات أبي العلاء واستقراء كل المرويات عنه ، وسعى إلى لقاءِ كل الباقين من أسرته وأهل بيته ، واستقصى روايات الذين لقوه وصحبوه وتتلمذوا له أو قرأوا عليه وكتبوا له ، يأخذها بإسنادٍ متصلٍ من ثقاتِ عصره إلى عصر أبي العلاء ، وبينهما نحو قرنٍ ونصف قرن .

ثم عكف طويلا على فحص ما استقصى وجمع من أخبار وأقوال ومرويات ، ينقدها سندا ومتنا ويقابل بعضها على بعض ، مستخلصا منها مادةَ (كتاب الإنصاف والتحري ، في دفع الظلم والتجري ، عن أبي العلاء المعري) .

وكتب يقدمه ، بعد حمدِ الله « الكريم العادل محق الحق ومبطل الباطل » على ما منحه من التوفيق وهداه به إلى سواء الطريق : ،

«... وبعد ، فإني وقفت على جملة من مصنفات عالم معرة النعمان ، أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان ، فوجدتها مشحونة بالفصاحة والبيان ، مودعةً فنونا من الفوائد الحسان ، محتوية على أنواع الآداب ، مشتملة من علوم العرب على الخالص واللباب . لا يجد الطامح فيها سقطة ولا يدرك الكاشح فيها غلطة . ولما كانت مختصة بهذه الأوصاف مميِّزة على غيرها عند أهل الإنصاف ، قصده جماعة لم يعوا وعيه ، وحسدوه إذ لم ينالوا سعيه . فتتبعوا كتبه على وجه الانتقاد ، ووجدوها خالية من الزيغ والفساد . فحين علموا سلامتها من العيب والشَّيْن ، سلكوا فيها معه مسلكَ الكذبِ والمين ، ورموه بالإلحاد والتعطيل والعدول عن سواءِ السبيل : فمنهم من وضع على لسانه أقوال الملحدة ، ومنهم من حمل كلامَه على غير المعنى الذي قصده ، فجعلوا محاسنه عيوبا وحسناته ذنوبا وعقلَه حُمقا وزهدَه فسقا ، ورشقوه بأَليم السهام وأخرجوه عن الدين والإسلام ، وحرَّفوا كلِمَه عن مواضِعه وأوقعوه في غير مواقعه » .

والتفت « ابن العديم » إلى محنة أهل الفضل بالعصرِ :

« يطالبهم بتراتِه ويقصدهم بإساءته ، ويسلط عليهم من أبنائه

اعداء قصدوا أبا العلاء بالطعن والإساءة ، واللبيبُ مقصود ، والأديب عن بلوغ الغرض مصدود ، وكل ذي نعمةٍ محسود » .

كما لفَت إلى أن كتاب الله العزيز ،الذي لا يتقبل التبديل ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : « تأوَّله جماعة من أرباب باطل الأقاويل ، على غير وجوه التأويل . حتى إن جماعة من الكفار تمسكوا منه بآياتٍ جعلوها دليلا على ما ذهبوا إليه من الضلالات . فما ظنك بكلام رجلٍ من البشر ليس بمعصومٍ إن زلَّ أو عثر ؛ وقد تعمق في فصيح الكلام وأتى بما لا يتيسر لغيره ولا يرام ... إذا قصده بعضُ الحُسَّاد فحمل كلامه على غير المراد ؟ » .

« وقد وضع أبو العلاء كتابا وسمَه بزجر النابح : أبطل فيه طعنَ المزري عليه والقادح ، وبين فيه عذره الصحيح وإمانه الصريح ووجه كلامه الفصيح . ثم أتبع ذلك بكتابٍ وسمَه بنَجرِ الزجر : بين فيه مواضعَ طعنوا بها عليه ببيانَ الفجر . فلم يمنعهم زجره ولا اتضح لهم عذرُه ، بل تحقق عندهم كفرُه ؛ واجترئوا على ذلك وداموا ، وعنَّفوا مَن انتصر له ولاموا ؛ وقعدوا في أمره وقاموا...حتى حكوا كُفرَه بالأسانيد ، وكفَّره من جاء بعدهم بالتقليد .

« فابتدرتُ دونه مناضلا ، وانتصبتُ عنه مجادلا ... وذكرت في هذا الكتاب مولده ونسبه ، وتحصيله للعلم وطلبه ، ودينَه ومذهبه ، وورعَه الشديد وزهدَه ، واجتهاده القويَّ وجدَّه ، وطعنَ القادح فيه وردَّه ، ودفعَ الظلم عنه وصدَّه » .

****

وتحرج « أبو عبد الله شمس الدين الذهبي – ٦٧٣ : ٧٤٨ هـ » فقال بعد أن نقل في (تاريخ الإسلام) أقوال الذين اتهموا أبا العلاء ، والذين شهدوا له بالورع والتقوى والإيمان :

« وفي الجملة ، فكان من أهل الفضل الوافر والأدب الباهر والمعرفة بالنسب وأيام العرب ... وله في التوحيد وإثبات النبوة وما يحض على الزهد وإحياء طرق الفتوة والمروة ، شعر كثير . والمُشكِل منه ، فله – على زعمه – تفسير » .

وقدَّم « ابن الوردي : ٧٤٩ هـ » كلمته في الجدل المثار حول امتناعه من أكل اللحم . فقال تعقيبا على مرثية تلميذه ابن همام :

« وقول تلميذه « لم تُرِق الدماء زهادة » يدفع قول من قال إنه لم يرق الدماء فلسفةً ، ونسبه إلى رأي الحكماء . وتلميذُه أعرفُ به ممن هو غريب يرجمه بالغيب . وماذا على مَن ترك اللحمَ ، وهو من أعظم الشهوات ، خمساً وأربعين سنة زهادةً ؟ وقد قال « المكيُّ » في (قوت القلوب) : « إباحة حلالِ الدنيا حسنٌ ، والزهدُ فيه أحسن » ولما أتَى رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – أهلُ قباء بشربةٍ من لبنٍ مشوبة بعَسلٍ ، وضع القدح من يده وقال : « أما إني لست أُحرمه ، ولكني أتركه تواضعا لله تعالى » وأُتي عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه بشربةٍ من ماء باردٍ وعسَل في يوم صائف ، فقال : « اعزلوا عني حسابها » وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التنعم . وكتُب الرقائق وغيرُها مشحونة بتركِ السلفِ الصالح للشهوات والملذاتِ الفانية ، رغبةً في النعيم الباقي » .

ثم نقل « ابن الوردي » مرثية الأمير أبي الفتح المعري لأبي العلاء ،

وعقب عليها بقوله :

« فانظر إلى ما رثاه أيضا به هذا الرجل ، ووصَفَه به من تُقاه ورفضِه للحياة وموته قبل الموت وتطوعه . وهو أيضا أعلمُ به من الأجانب. وبالجملة فقد ألَّف الصاحب كمال الدين « ابن العديم » رحمه الله ، في مناقبه كتابا سماه : (كتاب العدل – الإنصاف – والتحري في دفع الظلم والتَجري عن أبي العلاء المعري) وقال فيه : إنه اعتبر مَن ذمَّ أبا العلاء ومن مَدَحه ، فوجد كلَّ من ذمَّه لم يره ولا صحبه . ووجد كلَّ مَن لقيه هو المادح له . وهذا دليل لما قلتُه .

... وصنَّف بعض الأعلام في مناقبه كتابا وسماه : (دفع المعرة عن شيخ المعرة) .

« وفي هذين الكتابين – الإنصاف والتحري ، ودفع المعرة – فصولٌ من نوادر ذكائه وإجابة دعائه ، والاعتذار عن طَعن أعدائه ... »

****

وعجب « ابن فضل الله العُمَري » ت ٧٤٩ هـ ، لما لحق أبا العلاء من ظلم وافتراء ، مع ورعه وزهده ، فقال في (مسالك الأبصار) :

« رفض الدنيا وما سَلِمَ ، وتداوى باليأس من مطامعها وداری الناسَ بتركِ حظه لهم ، ومع هذا ظُلِمَ . نفض يديه من الدنيا وساكنها ، وخفض لديه قدر محاسنها ، وأخذ نفسَه بالقناعة حتى صارت جُنَّةً تقيه المطامع ، ومنَّةً تقوِّيه على الأمل الطامع ...

« وكان مطلعا على العلوم متبحرا في اللغة ، متسع النطاق في العربية ، جامعَ الشعوب للطرق الأدبية ، ندرة في العالم وشذرة في بني آدم ،

ما ولدت مثله الليالي ولا أوجدت شبهه المعالي .

« وله من بدائع النظم والنثر قمراها ، ومن روائع العلم والعمل سمراها ... هذا مع انقطاعٍ حتّى عن نفسه ، وامتناع حتّى عن أنسه ، ونفارٍ حتّى من ظلّه ،مع ما مُنِيَ به من فقدِ حاسةِ بصره ، وخلوّه ممن يماثله في بلده .

« والناس فيه بين مكفِّرٍ ، ومعتقدٍ له الولايةَ ، وما بين بين هذه الغاية » .

ثم نقل « العمري » ما كتبه الكمال ابن العديم ، مقدمة لكتاب (الإنصاف والتحري) .

* * * *

وظل مع ذلك مظلوما .

ومضت قرون ذات عدد ، والتهمةُ تُلقي ظلَّها على أبي العلاء فتحجبه عن أجيال من أبناء أمته ، في عصورٍ لم تكن أوضاعها تحتمل أن يُخلى بينهم وبين هذا الأديب الفرد ، يهز وجدانهم بحُرِّ كلمته ، وينفذ إلى قلوبهم وضمائرهم بشرفِ سلوكه وبطولة احتماله وبسالة مقاومته للبغي والطغيان وتمرده على الفساد والنفاق .

ومن عجب أن تلك العصور التي رَجَمَتْ أبا العلاء غضبا للدين ، رثَّ فيها التدين وعاد الإسلام غريبا في ديار الإسلام ، وابتُذِلت قِيمُه في صراع المذاهب ومعترك الأهواء ...

ففيم كانت هذه الحمية للدين : تنكر على أبي العلاء ما حرم على نفسه من متاع الحياة الدنيا وزينتها ، ولا تنكر إباحة المحرمات وانتهاكَ المقدسات والجهر بكبائر الفواحش ؟ تُعنِته بجدلٍ في امتناعه من أكل

اللحم وشرب اللبن ، وتستظرف مجالسَ الشراب والمجون ، وتهلل لبطولاتِ سفاكي الدماء وأكلة حقوق البشر ولحومهم وأعراضهم .

وتأخذه بكلماتٍ جرى بها لسانه ، لم يستطع كتمانها ، تخفيفا عن كربه واحتجاجا على نُكر عصره وفساد مجتمعه ؛ ولا تأخذ آخرين من الشعراء والكُتَّاب ومحترفي العلم والتدين ، بوثنية العبودية للبشر والمال ، ولا تحاسب مَن جهروا في ديار الإسلام بادعاء النبوة واعتناق المثنوية ، وبشروا بالحلول والتناسخ والرجعة !

كأن لم يكن في دنياهم غيرَ أبي العلاء ، عدو للدين وخطَر على الإسلام والمسلمين !

داعي الدعاة الذي تصدى لحماية الدين من رهين المحبسين الذي حرَّم على نفسه أكل اللحم ، كان يصغي في نشوة وطرب إلى شاعر دولته الفاطمية « ابن هاني » يشدو للمعز الفاطمي بمثل قوله :

ما شئتَ لا مـا شاءت الأقـدارُ
فاحكمْ فأنت الواحـدُ القهّـار

وقصور بغداد ، التي أنكرت أبا العلاء وشهدته يُخرج من مجلس أحد السادة الأشراف ،مطرودا مهانا مسحوبا من رجليه ،كانت لا تزال ساهرة على معازف المغنين والمغنيات ، تشدو برجع الصدى من خمريات أبي نواس :

دع عنك لومي فإن اللوم إغـراءُ
وداوني بالـتي كـانت هي الداء

. . . . . .

لتلـك أبكي ولا أبكـي لمنزلـة
كانت تحل بهـا هند وأسماءُ

****

عاج الشقي على رسمٍ يسائلـه
وعُجْت أسأل عن خمارة البلـدِ
يبكي على طلل المـاضين من أسد
لا دَرَّ درُّك قل لي من بنـو أسد
ومَـن تميمٌ وقيس ولفُّهمـا
ليس الأعاريب عند الله من أحد

. . . . . .

على مقربة من كربلاء التي شهدت المذبحة التاريخية الفاجعة ، وغير بعيد من دمشق التي كانت لا تزال تسترجع ذكريات المذبحة الأموية التي انتشى بها « أبو العباس السفاح » على صوت شاعره سديف

لا يغرَّنْكَ مـا ترى من رجـال
إن تحت الضلـوع داءً دويـا
فضع السيفَ وارفع السوطَ حـتى
لا ترى فوق ظهرهـا أمويـا

. . . . . .

وبقيت الدنيا بخير ، لا يزعجها إلا صوت رهين المحبسين ومسلكه ، يرفض الدنيا ويصوم الدهرَ عن لذاتها ومُتَعها وشهواتها ، ويرق قلبه للحيوان فيعف عن سفك دمه وشرب لبنه وأكل لحمِه !

****

وأعجب من هذا ، أن عقيدة أبي العلاء لم تشغل دارسي الملل والنحل ومؤرخي الفكر الديني ورجاله ، وإنما شُغِل بها مؤرخو الأدب ومصنفو طبقات أعلامه ، منصرفين إليها عن الأديب الشاعر اللغوي المفكر ...

عزف الشراح والدارسون والنقاد ، إلا القلة النادرة ، عن الاشتغال بديوانيه الكبيرين ، والدرس النقدي لفصوله وغاياته ، ورسائله الطوال التي تجري مجرى الكتب المصنفة .

وتركوا ما أفلت منها من غوائل الضياع ، رهين محبسين : جدران الخزائن المجهولة ، وحُجُب الإهمال في غيابة النسيان !

لا يذكرون شيئا منها ، إلا أن يلتقطوا اسم كتاب أو فقرة منه ، تصلح على وجه من الظن أو التأويل ، لأن يأخذوا منها دليلا على عقيدته التي شغلت جمهرتهم ، غضبا لدينهم !

وهم الذين شُغلوا ، مثلا ، بديوان أبي الطيب ، وأقاموا لصاحبه عرشاً جثوا حولَه سُجَّدا ، جيلا بعد جيل .

وأبو الطيب ، قد ادَّعى النبوَّة فيما علموا وأكدوا ، ومن دعواه أخَذ لقبه « المتنبي » الذي اشتهر به فيهم وفينا ، دون أدنى إحساس بجفوةٍ أو نَبوةٍ أو تحرج !

على حين كان الناس في أمرِ أبي العلاء: « بين مُتَّهِمٍ ، ومعتقدٍ له الولاية ، ومَن بينَ بين » كما قال ابن فضل الله العمري .

وما زاد متهموه على أن جرحوه بما حرَّم على نفسه من متاع الدنيا وزينتها ، وأخذوه ببعض كلماتٍ له موهِمة ، وأخرى مدسوسة عليه .

ولَم يقل أشدهم ارتيابا فيه وتجريحا له ، إنه ادَّعى النبوة كالمتنبي ! ولا استطاعوا قط أن يأخذوه بكلمة شِرك ، أو يجدوا مطعنا في ورعه وعفته . وإن أساءُوا تأويل صلابة زهده ، وأنكروا غريب تورُّعه وشذوذ أمانته ! وتغاضوا عن مصنفاته الكثار في العِظات والاعتبار ، وأخملوا أشعاره ونجواه ، في تمجيد خالقه وحده ، ورفض العبودية لغيره !

****

ولا تفسير لهذا عند المحققين من دارسيه ، إلا أنه كان نمطا فريدا لا عهد لعصره ، وعصورٍ بعده ، بمثله ، وما ولدت مثله لياليهم ؛ ومن ثم بقي فيها غريبا ، وصدقت فيه كلمته :

أولو الفضل في أوطانهم غربـاءُ
تشذ وتنـأى عنهـم القُربـاءُ

****

وإذ أصر على رفض حياتهم ، حاولوا أن يرفضوه .

« وقعدوا في أمر عقيدته وقاموا ، وحكوا كُفرَه بالأسانيد ، وكفَّره مَن جاء بعدهم بالتقليد » كما قال الكمال ابن العديم .

تشويها لصورة المناضل الشريف ، استغلوا فيه العاطفة الدينية للجماهير ، كي تبقى بمنأى عنه ومعزل .

وزادوه تشويها فقالوا : عدو المجتمع !

وما كان عدوا إلا لأعداء المجتمع .

وأُنسِيَ الناسُ أنه القائل :

ولــو أني حُبِيتُ الخُلــدَ فــرداً
لمــا أحببــتُ بالخلدِ انفرادا
فلا هَطلتْ عــليَّ ولا بـــأرضي
سحائبُ ليس تنتظــم البــلادا

* * * *

الناسُ للناس من بــدوٍ وحــاضرة
بعضٌ لبعضٍ ، وإن لم يشعروا ، خَدَمُ

* * * *

مُلَّ المقامُ فكم أُعــاشر أُمــةً
أمرت بغيــر صلاحِهــا أُمــراؤها
ظلموا الرعيةَ واستجازوا كيدَهــا
وعدَوا مصالحهــا وهم أُجراؤهــا

* * * *

أفضــلُ من أفضلهــم صخــرةٌ
لا تظلم الناسَ ولا تكــذب

. . . . . .

وطُوِيَ عن الطلاب « في الشعر الذي ينشد في محافل الطلب » وفي المختار لهم منه بالكتب المدرسية ، ما لا ينبغي لهم أن يسمعوه أو يقرءوه من احتجاج رهين المحبسين ، على منكر الأوضاع ، في أي عصر وجيل :

وهل من وقتهم أبغى وأطغــى
عــلى أيِّ المذاهِــب قلَّبــوه

ولم يرضوا لما سكنوه شيدا
إلى أن فضّضوه وذهّبوه
رجَوا ألا يخيب لهم دعاء
وكم سأل الفقيرُ فخيّبوه
أديلَ الشرُّ منكم فاحذروه
ومات الخير فيكم فاندبوه
. . . . . .

وبدلا من أن يندبوا الخير الذي مات فيهم ، أماتوا مَن نعاه إليهم ، وكتموا صوته عن أمته :

أعاذل قد ظلمتنا الملو كُ ، ونحن على ضعفِنا أظلمُ

****

وحذروا الشباب من تشاؤمه ، وما كان سوى إنكار للشر ورفض لهوان الآدمية فيهم.

ونسوا أنهم ما فتئوا يروِّجون في الشباب لزهديات أبي العتاهية ، ويلحون على وجدانهم بما يئد طموحهم ، من مثل قوله ، وهو غارق في الترف بقصر مولاه الرشيد :

لِدُوا للموتِ وابنُوا للخراب فكلُّكمُ يصير إلى التراب

****

وقالوا في أدب أبي العلاء : « إنه جمع إلى سواد التشاؤم ، الغموضَ والتعقيد » . وألحوا في تخويفنا من إغرابه وإلغازه . وإنهم ليعلمون أنه تولى بنفسه شرح ديوانيه (سقط الزند ولزوم ما لا يلزم) وفسَّر ما هو

مظنة أن يكون غريبا من ألفاظ : (الفصول والغايات ، ورسالة الغفران) وأتبع كلَّ لغزٍ في كتابه (الألغاز) بحلِّ اللغز وتفسيره . وما كنا ندري قبل أن نقرأه ، أن ألغازه من الفن البديعي ، بل كان اسمُه يذكر لنا دليلا على ولع هذا الرجل المُعَقَّد ، بالإغراب والإلغاز !

****

وجحدوه أديبا شاعرا ، بدعوى أنه فيلسوف .

وجحدوه حكيما مفكرا ، بدعوى أنه أديب شاعر .

وصوته يأتي من بعيد بعيد :

* أولو الفضل في أوطانهم غُربـاءُ *

انحسار الظلام

هَوِّنْ عليكَ ولا تُبالِ بحادثٍ
يُشجيك ، فالأيامُ سائرةٌ بنا
أبو العلاء
(لزوم ما لا يلزم)

****

مع فجر اليقظة من العصر الحديث ، بدأت الظلمة تنجاب رويدا عن الشاعر العظيم الذي أخملتْه عصورٌ رأت في سلوكه الشريف ومجاهدته الباسلة خَطرا على وجدان الأُمة ، وحذِرت من سلطان كلمته الصادقة وفكره الحر ، على ضمير الشباب .

ومن الحق أن أعترف للغرب الأُوروبي بأنه الذي لَفَتَنا من حيث يدري أو لا يدري ، إلى ذلك الأديب الحكيم الخامل المغمور فينا :

سمعنا أن المستشرقين شغلوا بأبي العلاء وتراثه : المستشرق الانجليزي

« نيكلسون » نشر تعريفاً برسالة الغفران ، ومختارات له من مشاهدها وفصولها ، في أعدادٍ من مجلة الجمعية الأسيوية الملكية (R.A.S.M.) لسنوات ١٨٩٩ : ١٩٠٢ .

والمستشرق الاسباني « ميجويل آسين بلاسيوس » نشر في سنة ١٩١٧ بمدريد ، دراسته للأُصول والينابيع الإسلامية لكوميديا دانتي الإلهية . وفي الكتاب الذي ترجم إلى الانجليزية وهز العالم الأدبي الغربي ، فصل كامل عن تأثر دانتي بأبي العلاء في (رسالة الغفران) [1].

ونشر « كراتشكوفسكي : عميد المستشرقين الروس » مقدمة (رسالة الملائكة) .

ونشر المستشرق « زجليوث » مجموعة (رسائل أبي العلاء) في السلسلة التذكارية للمستشرق الانجليزي « جِب » .

وتتابعت البحوث والدراسات من دوائر الاستشراق في ألمانيا وهولاندا وإيطاليا ، فالتفتنا إلى أديبنا بعد طول غفلة وإهمال .

وكان للأُستاذ العميد الدكتور طه حسين ، الفضل الأول في إحياء (ذكرى أبي العلاء) فينا ، وتقديمه إلى بيئة الدراسات الجامعية : و (ذكرى أبي العلاء) كانت موضوع رسالته إلى الجامعة المصرية سنة ١٩٢٥ .

بعدها ، نشر كتابيه : رهين المحبسين ، ومع أبي العلاء في سجنه . ودعا إلى نشر تراثه فينا ، وكان هو الذي اقترح أن تكون هدية مصر إلى أبي العلاء في مهرجان ذكراه الألفية بالشام ـ سنة ١٩٤٤ ـ

(١) عرضته بتفصيل في (الغفران : دراسة نقدية) ط. المعارف بالقاهرة .

ذلك السفر الجامع لما في مكتبة السلف من (تعريف القدماء بـأبي العلاء) .

وبإشراف الأستاذ العميد ، نُشرت كذلك شروح سقط الزند ، في طبعة جديدة متقنة ، لدار الكتب بالقاهرة .

وعليه ، قرأنا ـ نحن طلاب الامتياز في اللغة العربية بـآداب القاهرة ، رسالة الغفران والفصول والغايات .

وبإشرافه كذلك ، كانت دراستنا العليا في بحوث ونصوص علائية ، لدرجتي الماجستير والدكتوراه ...

****

ونشط الدارسون ، في مختلف أقطار العربية ، يقدمون جهودهم ، تحقيقا لتراث أبي العلاء ، أو دراسة فيه :

في مصر :

نشرت القاهرة سنة ١٩٣٨ طبعة متقنة للقسم الأول من (الفصول والغايات) بتحقيق الأستاذ محمد حسن زناتي ، فنَسخَتْ ما افتُري عليها من زعم معارضة السور والآيات ، وحسمت الشك فيما ادّعوه (قرآن أبي العلاء) بيقين كلماته مناجاة ضراعةٍ وابتهال ، وعظاتِ تمجيدٍ للخالق الواحد وقنوت ، ومواجِد صوفي أديب يحاول بـأشق المجاهدة ، أن يتداوى من محنة دنياه باليـأس منها .

وفي سنة ١٩٤٤ ، مع (تعريف القدماء بـأبي العلاء) نشرت فينا لأول مرة ، نصوص من (كتاب الألغاز) صححت الخطأ الشائع عنه ، وقدمته إلينا تجربة شعرية لأبي العلاء في فن الإلغاز البديعي .

وفي سنة ١٩٥٠ ، نشرت دار المعارف بالقاهرة ، في سلسلة ذخائر

العرب ، النص الذي حققتُه منهجيا لرسالة الغفران ، وأُضيف إليها في الطبعات الأربع بعدها ، نص محقق لرسالة ابن القارح ، مفتاح فهم نص الغفران ، فأتاحت لنا هذه النصوص المحققة ، مادة دراسات جديدة ، كاشفة لمجهول من شخصية أبي العلاء ، ومصححة لأوهام فيه .

وبلغ من رواج هذا النص المحقق لرسالة الغفران ، أن نفدت طبعات الذخائر الخمس ، في سنواتٍ معدودات ومع إلحاح الضغط على طلبها ، نشرت « دار صادر ودار بيروت » طبعة لها مزورة ، عن طبعتنا الثالثة في الذخائر . ثم نشرت « دار إحياء التراث العربي – بيروت » طبعة أخرى منقولة بتدليس ، من الطبعة الرابعة للذخائر .

****

وفي سورية :

نشرت دمشق (رسالة الملائكة) بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي ، أكملت عملَ كراتشكوفسكي في نشر مقدمة الرسالة ، وأضافت جديدا إلى ما لدينا من تراث أبي العلاء ، وعلمٍ بفنه الأدبي ورؤاه الوجدانية ومهارته اللغوية .

وإلى جانب هذه الذخائر المحققة ، نُشِرت طبعات تجارية ، في مصر وسورية ولبنان ، لآثار علائية أخرى ، منها : اللزوميات ، وعبث الوليد ، وملقى السبيل . سدَّت بعض الفراغ ، رغم ما يعوزها من التوثيق العلمي والتحقيق المنهجي ، ريثما يتاح لنا الظفر بنصوص لها محققة .

****

وتلقت المكتبة العربية الحديثة ، عددا غير قليل من الدراسات العلائية ، شارك فيها باحثون ومؤلفون من مختلف الأقطار ، أذكر منها :

أبو العلاء وما إليه	:	عبد العزيز الميمني	الهند
المهرجان الألفي لأبي العلاء	:	بحوث ومحاضرات لأعضاء الوفود	ط : دمشق
الجامع في أخبار أبي العلاء	:	محمد سليم الجندي	سورية
النقد واللغة في رسالة الغفران	:	أمجد الطرابلسي	سورية
أبو العلاء	:	عمر فروخ	لبنان
أبو العلاء ناقد المجتمع	:	زكي المحاسني	سورية
أبو العلاء المعري	:	أحمد تيمور	مصر
رأيٌ في أبي العلاء	:	أمين الخولي	»
رجعة أبي العلاء	:	عباس العقاد	»
الحياة الإنسانية عند أبي العلاء	:	عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء)	مصر
الغفران : دراسة نقدية	:	»	»
قراءة جديدة في رسالة الغفران (نص مسرحي من القرن الخامس)	:	»	»
أبو العلاء المعري : أعلام العرب :	:	»	»
مدينة السلام في حياة أبي العلاء ـ نشرته وزارة الثقافة ببغداد	:	»	»

. . . . . .

وآن الأوان لنعرف أبا العلاء :

الأديب المفكر الحر : قاوم في بسالةٍ تقرب من الاستشهاد ، مغريات الحياة ونوازع الغريزة وفتنة الرغبة والرهبة ، كي تسلم له كرامة إنسانيته وحرية فكره وصدق كلمته ، وصام الدهر كله محققا بسلوكه العملي كلمة قالها « الشنفرى » شاعرنا الجاهلي الصعلوك ، من قديم الزمان :

أُديم مطالَ الجوع حـتى أُميتَـه
وأَصرف عنه الذكرَ حينا فأَذهلُ
وأستفُّ تربَ الأَرض كيلا يرى له
عليَّ من الفضلِ امرؤ متفضلُ
ولولا اجتنابُ الذامِ لم يبق مشربٌ
يُعاش به إلا لـديّ ، ومأْكلُ

والضرير البصير : لم يفقد وعيَه في دوامة الأَعاصير ، ولم يُعْشِ

نظرَه وهَجُ الذهب وبريقُ السيف ، ولا أخطأ طريقه في داجي الظلمة ، ولا غفلت بصيرته ، والناس من حوله مخدرون نيام ...

والحبيس الطليق : التزم أمانة النضال عن وجود أمته ، وتمرد ، عنها ، على الطغيان والاستعباد والفساد ، فضرب لنا مثلًا فذًّا لجبرية الالتز ام يفرضها الضمير الحي أمانة وتكليفا ...

* * * *

آن الأوان ليُبعث أبو العلاء فينا من وراء ألف عام ، يصحح فهمنا للقيم الأدبية ويضبط موازيننا لأقدار الذين يحملون رسالة الأدب وأمانة الفكر والكلمة .

* * * *

وبعد ،فما أرتاب في أن «أبا العلاء» سيبقى حيا في ضمائر الأجيال الخالفة من بنينا . ولعله يشفع لنا عندهم – حين يراجعون تاريخنا الأدبي البائس – أنْ شرُفنا بهذا الشاعر الفرد ، وقدَّمناه إليهم شاهدا على مدى ما تطيق إنسانيتنا الكريمة الحرة ، من بسالة المجاهدة وبطولة الاحتمال .

وسلام على شاعري أبي العلاء ...